هذا ما لقيه بعض الادباء من عنت الدهر ونبو السياسة عنهم ايام كانت دولة الادب ثابتة الاركان مرصوصة البنيان ولرجالها المحل الارفع غير مدافعين رغبا او رهبا اما منذ ادبرت تلك الايام حتى عصرنا هذا فالبلية اعظم من ان تذكر بل لا يحيط بنحس الادباء الا العالم بما كان وما سيكون .

الرقص عند العرب

نشرت على جريدة لسان العرب ١٥ ربيع الاول ١٣٢٩ الموافق ١٨ تشرين الثاني ٩٠

لا تكاد تجد امرأ اصغت عليه الاذواق ومالت اليه النفوس واقتضت عليه الاهواء كالرقص فاجناس البشر كافة مجمعون على استحسانه منذ اقدم العصور الى يومنا هذا على اختلاف في اشكاله حسب ما تقتضيه طبائع الامم وعاداتها .

ولم يكن الرقص خاصاً بالدهر ومجالس الطرب فالاسرائيليون قلما كانوا يرقصون في الافراح وامكنة اللهو بل كانوا يرقصون في كل احتفالات العبادة وكل الاعمال الدينية في هيكل اورشليم والمصريون كانوا يرقصون في اعياد العجل ابيس وكان لليونان رقص ديني يرقصونه حول سرير جوبيتر كما انهم كانوا يعتبرونه من اقوى البواعث على الحماسة لذلك كانت جنودانيا واسبرطة تذهب الى الحرب وهي ترقص على نغمات المزمار والصنوج .

اما العرب في جاهليتهم فقد عرفوا الرقص منذ عرفوا الغناء والراجح انهم لم يتعلموه في شيء من عبادتهم بل كانوا يقصرونه على الافراح وساعات اللهو وهو اذا زال سافج لغنائهم فلما دانوا بالاسلام انصرفوا عنه الى ما هو اجل قطراً واعظم شاناً وقراً فدوخوا الاقطار وفتحوا الامصار ولكنهم مالوا الى بعض الترف في عهد الامويين فظهرت جماعة المغنين والرقص عدة توابع الغناء اما العباسيون فقد كانت في عهدهم مجالس الغناء وردهات الرقص عامرة بدعائهم في الرفه والترف بعد ان ولجوا الكان الملك وفاصلت الحضارة بين ظهرانيهم قال ابن خلدون واصبحت الموسيقى عندهم علماً ذا اصول والفاظ فيها التآليف فقد ما استجلبوه من الاعاجم واخترعوه من الآلات والمغنون في القصف واتخذت آلات الرقص في الملبس والقضبان والاشعار التي يترنم بها عليه وجعل ضفاً واحداً واتخذت آلات اخرى للرقص تسمى بالكرج وهي تماثيل خيل مرجة من خشب معلقة باطراف اقبية يلبسها الغواني ويحاكين بها امتطاء الخيل فيكرون ويفرون ويتاقفن

وكثر ذلك ببغداد وامصار العراق . اه

وقد روى عن غير واحد من الخلفاء انهم كانوا يجيدون الرقص ولا يرون به غضاضة على انفسهم بل هو عندهم من اسباب الفتوة والظرف والادب قال صاحب الاغاني في ترجمة الوليد بن يزيد انه كان يضرب بالعود ويوقع بالطبل ويمشي بالدف على مذهب اهل الحجاز . وروى ايضاً عن مخارق قال مرت بي ليلة ما مر بي قط مثلها جاءني رسول محمد الامين وهو خليفة فاخذني وركض بي اليه ركضاً شديداً فصرت الى باب ابراهيم بن المهدي على مثل حالي فنزلنا واذا هو في صحن لم ار مثله قد ملئ شمعاً من شمع محمد الامين الكبار واذا به واقف ثم دخل بالكرج والدار مملوءة بالوصائف يغنين على الطبول والسرنايات ومحمد في وسطهن يرتكض في الكرج فجاءنا رسوله فقال قوما في هذا الباب . مما يلي الصحن فارفعا اصواتكما مع السرنابي اين بلغ واياكما ان اسمع في اصواتكما تقصيراً عنه قال فاصغينا فاذا الجواري والمخنثون يزمرون ويضربون

هذي وتاثير تشاني واذكرها وكيف تنسى محباً يسبيناها

فما زلنا نشف خلف السرنابي ونتبعه حذراً من ان يخرج عنه لطبقته او نقصر عنه الى الغداة ومحمد يجول في الكرج ما يأمه يدنو الينا مرة في جوبته ويتباعد مرة ويحول الجواري بيننا وبينه حتى اصبحنا . اه

فهذه الرواية ونظائرها تدلنا على مبلغ عناية القوم في الرقص لكن لا يخفى ان لكل عصر عادات تخالف عادات غيره فرب مستحسن في زمن مستهجن في سواه فما نقل عن الوليد ومحمد الامين اصبح بعد انقضاء تلك العصور يترفع عن النسبة اليه كل ذي حمية ومروءة بل عامة الناس فضلاً عن الخاصة فما بالك بالخلفاء ولا انتقاد على ذلك البتة لان العصر الذي فشا فيه الرقص كانت الامة فيه آمنة من الجوائح محفوظة من قريب العين هادئة البال على سعة في مكسبها وطمأنينة في سلطانها فلا غضاضة عليها اذا اعطت نفسها قسطاً من اللهو واللعب كذلك يلوم على يوم ترفهت عنده وانفت من النسبة اليه عندما

كثرتها الكوارث ونابتها النوائب على انه ما زالت بقاياه معروفة في بعض الحواضر فما يسمى عندنا بالسماع اي هو الا الرقص بعينه هذا ولقد جرى بعادتنا منذ عهد قريب سيل من رقص الفرنجة اضحى الرجال والنساء فيه سواء وله اسماء تختلف باختلاف هيئاته وتشكله وانا لا ارى الآن الا قبال نحوه ولا انكباباً عليه لدننا لم نبلغ بعد من جد الحياة امداً يذكر حتى نجم انفسنا لهوها .